

عشرة أسباب تُخرج الوهابية من أهل السنة والجماعة

علي الديري

لقد أخرج مؤتمر (من هم أهل السنة والجماعة؟)، والذي عقد في العاصمة الشيشانية غروزني، الوهابية من قائمة أهل السنة والجماعة. ومنذ صدور بيان المؤتمر، والجهار الإعلامي للمملكة العربية السعودية يشعر أنه، ولأول مرّة، يرجع من ذات كأس السم القاتل، الذي يتفنن في صناعته وإذا قته لغيره، وهو سمه الإقصاء وعدم الاعتراف، والتکفير.

أطّن^١ أن على «هيئة كبار العلماء في السعودية» أن تتأمل في الأسباب التي تُخرج الوهابية من أهل السنة والجماعة، لتعيد إنتاج نسخة أكثر اعتدالاً منها ووسطية. فالأسباب التي بحاجة إلى مراجعة ونقد وتصحيح هي ذاتها الأسباب العشرة التي حددتها محمد بن عبد الوهاب للتکفير.

وقد تولّ^٢ شرح هذه النواقص وتوضيح مدى تطبيقها، عضو «اللجنة الدائمة للإفتاء» وعضو «هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية»، الشيخ صالح الفوزان، في كتابه «دروس في شرح نوافع الإسلام». ولقد عالجتها في فصل خاص في كتابي، والذي سيصدر قريباً، تحت عنوان «إله التوحش الوهابي»، وبينت التوظيف السياسي لها في تأسيس الدولة السعودية الأولى.

يعرّف الفوزان النواقص على هذا النحو: «... ونواقص الإسلام هي مفسداته ومبطلاته، فمن أسلم وشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقد ينقض إسلامه وتوحيده بناقص من هذه النواقص، وهو يدرى أو لا يدرى، فيكون مرتدًا وفي عداد الكافرين».

النواقص إذاً، هي التي تبطل إسلامك، فتخرجك من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، أو هي التي تنقض شهادة توحيدك. ومعلوم أن التوحيد يمثل موضوعاً مركزيّاً في خطاب محمد بن عبد الوهاب، فكل شيء ينقض مفهومه الخاص للتوكيد يعتبر ناقصاً للإسلام.

هناك عشرة نواقص (أسباب) تعمل كمقدمات عامة ومطاطة لإنتاج التکفير، ينطبق فيها على المسلم حكم الكفر والارتداد والخروج من الإسلام. وقد استخدمت هذه المقدمات بشكل متعرّض طوال تاريخها، ولم تتعرض لأي نقد داخلي، بل اعتبرت محدّدات وتخوم وأصول تفصّلها وتميّزها عن بقية المسلمين من أهل السنة والجماعة، الذين اختلفوا في الفروع (الفقه) ولم يختلفوا في الأصول (العقائد).

إن هذا الاعتساف في إنتاج الكفر، من مقدمات عامة، لن تجده إلا عند الوهابية، وهو اعتساف وصل بها إلى حد تكفير من هم أهل السنة والجماعة، كالأشاعرة والصوفية، وعلماء كثر من الحنابلة، بلغ عددهم ستةً وعشرين، بين عالم، وفقيه، وقاض في نجد، في عصر الدولة السعودية الأولى.

سأذكر تطبيقات اعتبرت في الخطاب الوهابي حالات للخروج من الإسلام، ولم يعهد لها أهل السنة والجماعة كذلك، أو لم يبالغوا في اعتساف تطبيق الكفر عليها إلا في حالات شاذة لأسباب سياسية.

النواصح هي التي تبطل إسلامك، فتخرجك من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر

النواصح الأول: زيارة القبور والتبرك بها، والدعاء عندها. وقد أعطى هذا النواصح حجة شرعية لغزو كربلاء في 1802، وقد روت لنا البعثة الفرنسية في تقاريرها فظائع هذا الغزو، الذي لا يقرّه أحد من أهل السنة والجماعة، في حين ما زالت الوهابية تباركه، وتعتبره من أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

النواصح الثاني: من يؤمن بشفاعة الأولياء، في حين يذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الملائكة والنبيين والصالحين يشفعون يوم القيمة.

النواصح الثالث: من يصحح مذهب المشركين، ويقول إن مذهبهم صحيح يكون كافراً، ويدخل ضمن ذلك من يدعوا إلى التقارب بين الأديان أو الحوار بينها. فالمسلم يفترض أن يُبطل هذه الأديان ويحاججهم وينقضهم، بدل أن يتفهمهم ويتقرب معهم. ولا أحد من المسلمين يعتبر أن دعوة الحوار والتقارب مع المذاهب والأديان دعوة دونها التكفير والارتداد.

النواصح الرابع: الإعجاب بالتشريعات الدنيوية والقوانين الوضعية، وتفضيلها. بمعنى أنك بمجرد أن تكون قد دعيت للدولة المدنية فأنت فضل غير الهدى النبوى، ورفضت التشريع الإلهى، فأنت كافر.

النواصح الخامس: أن تبغض أو تكره أحكاماً شرعية أو معاملات شرعية، مثل إعفاء اللحية أو الأحكام المتعلقة بالمرأة والحجاب، أو أن تتبني مثلاً آراء تتعلق بأحكام وضعية بالمرأة، أو تشريعات دولية تخالف الشريعة الإسلامية. هذه كلها تدخل في هذا النواصح.

النواصح السادس: أن يُشم منك أنك تستهزئ بالنبي أو بشيء من سنته، أو من صاحبته، أو من أحكامه. فكل ذلك يُعدّ ناقضاً من نواصح الإسلام، ويخرجك من الإسلام إلى الكفر. والتعسّف في فهم الاستهزاء بباب واسع في الأدبيات الوهابية، ولا تجد له مثيلاً عند أهل السنة والجماعة إلا ما شذ.

النواصح السابع: أعمال السيرك واللهو والألعاب السحرية، لأنها من السحر والمرف.

النواصح الثامن: إظهار المودة للكفار، أو التشبه بهم، أو اتباعهم، أو التقرب منهم أو الاحتفال بمناسباتهم الدينية كأعياد الميلاد.

النواصح التاسع: من يعتقد أن الشريعة تاريخية، والأحكام مرتبطة بزمنها، ويمكن التخلص منها في الحاضر.

الناقض العاشر: الانصراف عن تعلّم الدين والتفقه فيه. وهذا ينطبق على الرافة، والصوفية، والقبورية، وغيرهم. بحسب محمد بن عبد الوهاب، لا فرق بين جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد والخائف. فجميعها أبواب جهنم في الآخر بقوه ۱۰ وقدرته وفي الدنيا، بقوه السلطة الوهابية وقدرة الدولة التي سجنت عشرات الكتاب والسياسيين والمفكرين وأصحاب الرأي بحج هذه النواقض. فيجعل كل ناقض من هذه النواقض في تطبيقاته العملية الوهابية فرقة شادة عن الخط العام لأهل السنة والجماعة. ولتكون ضمن هذا الخط، فإنها لا تحتاج إلى حملة علاقات عامة، ولا إلى حملات حزم صحفية لتكون من أهل السنة والجماعة، بل تحتاج إلى مراجعة ذاتها ودعوتها (دعوة محمد بن عبد الوهاب) التي تحالفت معها على قاعدة «الدم بالدم والهدم بالهدم»، لتجعل القاعدة الفكر بالفكر، لتمكن من إنتاج نسخة منقحة من الدم والعنف الذي هدمت به علاقتها مع أهل السنة والجماعة، وأرادت أن تنصب نفسها ناطقاً متفرداً باسمهم، يأمرها ويستجيبون لغصبيها.

* كاتب بحرى